

المقدمة:

على إثر نوبات الضعف التي انتابت الإمبراطورية البيزنطية - المترامية الأطراف - على مدار تاريخها الطويل، فقد ولدت دولة البلغار قرب نهاية القرن السابع الميلادي، هذا الميلاد الذي نظر إليه البيزنطيون، وعلى نحو غير متوقع، على أنه قلب لنظام ظل قائماً في شبه جزيرة البلقان لعدة قرون خلت، واعترفت بيزنطة بتلك الدولة البلغارية الناشئة، على اعتبار أنه حل مؤقت لظروف فرضت عليها، ولا بد من عودة الأرض التي استولى عليها البلغار إن عاجلاً أم آجلاً.

هذا في الوقت الذي أعلن فيه البلغار عن عدم استعدادهم للتخلي عن أي مكاسب حققوها ولو بطرق غير مشروعة، وبموجب هذه النظرية المتباينة حدث صراع ضروس بين الجانبين استمر ما يزيد على ثلاثة قرون، ولم يتوقف إلا بعد استيلاء بيزنطة على بلغاريا، وضمها لمناطق نفوذها عام ١٠١٨م على يد الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني Basil II (٩٧٦ - ١٠٢٥م) سفاح البلغار.

وبنهاية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، كانت فكرة الحروب الصليبية قد تبلورت في الأذهان، وإذا كان الغرب الأوروبي قد لعب فيها دوراً كبيراً وفعالاً باشتراك أباطرته وملوكه وأمرائه وجيوشه لنصرة الصليب، وغزو الأراضي المقدسة وانتزاعها من أيدي القوى الإسلامية في الشرق، فإن الشرق الأوروبي عامة، ومنطقة البلقان بخاصة كان لها أيضاً صوتها المسموع في هذه الحروب، سواء أكان ذلك بإمداد تلك الجيوش بالمؤن وتسهيل مهمتها أثناء عبورها لهذه المنطقة، أو المشاركة الفعالة قيادةً وشعباً في تلك الحملات، أو حتى عرقلة تقدم هذه الجيوش عبر أراضيها نحو الشرق. بيد أن العرقلة ما كانت إلا حادثاً عارضاً نظراً للتصرفات المشينة التي أرتكبها هؤلاء الصليبيون بالبلاد التي ساروا من خلالها إلى الأراضي المقدسة.

وقد برزت بلغاريا - الواقعة في الشرق الأوروبي والتي يحدها من الشرق البحر الأسود، ومن الجنوب الإمبراطورية البيزنطية، ومن الغرب البحر الأدرياتيكي، ومن الشمال والشمال الغربي مملكة المجر، والصرب والكروات - كإحدى هذه البلاد التي عدت من أحد أهم ممرات العبور للجيوش القادمة من الغرب الأوروبي عن طريق البر.

ومن هنا جاء هذا البحث يحمل عنوان "بلغاريا والحروب الصليبية من بداية الحملة الصليبية الأولى وحتى نهاية الحملة الصليبية الرابعة ١٠٩٦ - ١٢٠٧م"

Bulgaria and the Crusades from the Beginning of the first crusade until the end of the fourth crusade. (1096-1207. A.D)

والذي تم تعديله أثناء الطبع إلى كتاب ليصبح «بلغاريا والطريق إلى القدس».

ويرجع اختيار الباحث لهذه الفترة المهمة (١٠٩٦ - ١٢٠٧م) للبحث فيها، إلى أنها تتناول أربع حملات صليبية، الثلاث الأولى منها سارت عبر الأراضي البلغارية سواء من خلال الطريق الشمالي، بلجراد Belgrade القسطنطينية - والذي يمر بالمدن البلغارية بلجراد، نيش Naissus أو Nich، صوفيا Sofia ثم فيليبوبوليس، Philippopolis، أديانوبل أو أدرنه Adrianople فالقسطنطينية - أو طريق أجناتا Via Egnatia الذي يبدأ من دورازو Dyrrachium على الشاطئ الجنوبي للبحر الأدرياتيكي، ثم يمر عبر أوخريدا Ochrida البلغارية من طرفها الشمالي، ومنها إلى سالونيك Thessalonica فالقسطنطينية.

وكان للبلغار في هذه الحملات الثلاث دور كبير، سواء عن طريق إمداد تلك الجيوش الصليبية بالمؤن والتمويل اللازم، أو عرقلة تقدمها بسبب ما يرتكبونه من أفعال، يندا لها الجبين، بإخوان لهم في المسيحية.

أما الحملة الصليبية الرابعة، فبرغم أنها لم تتخذ من الأراضي البلغارية معبراً لها - لأنها سارت عبر الطريق البحري - إلا أن البلغار كان قد ظهر دورهم فيها باقتدار - بعد استقلالهم عن بيزنطة عام ١١٨٥م وتكوين مملكة البلغار الثانية - في محاولة منهم لمشاركة الصليبيين الاستيلاء على القسطنطينية عام ١٢٠٤م، ومقاسمتهم لأملك الدولة البيزنطية، فدار لهذا صراع مرير بين البلغار والصليبيين كانت الغلبة فيه للبلغار في كثير من الأحيان.

أما باقي الحملات الصليبية التي خرجت من أوروبا إلى الشرق لاحتلال بيت المقدس، فإن البلغار لم يشاركوا فيها، ولم يكن لهم دور؛ وذلك لأن هذه الحملات اتخذت الطريق البحري مسلکاً لها، وتجنبت السير عبر الطريق البري المار ببلاد البلغار، هذا إلى جانب انشغال البلغار بتزاعهم مع المملكة اللاتينية في القسطنطينية حتى عام ١٢٦١م، ونسنتى من هذا دورهم في أواخر العصور الوسطى وعلاقتهم بالدولة العثمانية^(١).

وترجع أهمية الموضوع إلى خلو المكتبة العربية من دراسة مستقلة بذاتها وتحمل عنوان بلغاريا والحروب الصليبية، هذا إلى جانب أن بحثنا المعنى بالدراسة ليس فيه دراسات كافية تغنى الخوض فيه، خاصة وأن معظم الدراسات السابقة قد تناولت بلغاريا وعلاقتها السياسية والحضارية مع بيزنطة في فترة قيام مملكة البلغار الأولى (٦٨١ - ١٠١٨م) والثانية (١١٨٥ - ١٣٩٦م)^(٢).

ومع هذا فإن الحديث عن دور بلغاريا والبلغار في الحروب الصليبية كان قليل الذكر، ولذا فقد غدا من الأهمية بمكان دراسة هذا الموضوع.

بيد أنه لا بد لنا من الإشارة إلى البحث الذي قدمه ستيفن رنسيمان (S.) Runciman عن رحلة الصليبيين الأولى عبر شبه جزيرة البلقان.

وكذلك الدراسة الرائعة للعالمة الجليلة أ. د/ ليلي عبد الجواد إسماعيل، والتي تحمل عنوان: " أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى (١٠١٨ - ١٠٩٧م)^(٣) "، وبرغم أن الدراستين قد تناولتا الدور البلغارى خلال الحملة الصليبية الأولى فقط، إلا أنهما أفادا الباحث وبحثه وقدمتا مادة طيبة أرشدت الباحث فى كثير من الجوانب.

ومن الجدير بالذكر القول بأن هناك صعوبات كثيرة قابلت الباحث، منها أنه قدر أن لا يكون دور البلغار وبلغاريا فى كثير من المواقف ظاهراً جلياً - لأن المصادر البيزنطية عندما كانت تتحدث عن الإقليم البلغارى كانت تشير إليه على أنه إقليم بيزنطى، وتبين بهذا المقاومة البلغارية للصليبيين على إثر اعتداءاتهم على أنها مقاومة بيزنطية، أو إمدادهم للجيوش الصليبية بالمؤن والطعام على أنه إمداد بيزنطى وليس بلغارى - لهذا فقد حاول الباحث الاعتماد على الاستنتاج والاستنباط والتحليل للأحداث من خلال استقراء النصوص والمحطات والمصادر المعاصرة وغير المعاصرة، لتوضيح وإبراز الدور البلغارى فى هذه الحروب من عدمه.

ومهما يكن من أمر، فقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة، ودراسة تحليلية للمصادر وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر، والمراجع.

وقد جاءت الدراسة التمهيدية تحت عنوان: " بلغاريا قبيل الحروب الصليبية " وتم الحديث فيها عن الأصول العرقية للبلغار، وارتحالهم من آسيا إلى أوروبا، واستقرارهم بمنطقة البلقان، وإقامة مملكة لهم عرفت بمملكة البلغار الأولى (٦٨١ - ١٠١٨م) وعلاقاتهم السياسية مع بيزنطة، وخضوعهم لسيادة الأخيرة من عام (١٠١٨ - ١١٨٥م)، وأوضاعها قبيل الفترة موضوع البحث، حتى بداية قدوم الجيوش الصليبية واتخاذها من أرض البلغار طريقاً لها عام ١٠٩٦م.

أما الفصل الأول: فعنوانه: " بلغاريا والحملة الصليبية الأولى (غير النظامية) " وتم الحديث فيه عن الحملة غير النظامية بقيادة كل من والتر المفلس Walter Sans-Avoir، وپترس الناسك Pierre l'Ermite، وموقف البلغار من هذه الحملات، والصراع الذى شب بين هؤلاء الصليبيين والبلغار ودور بيزنطة فيه أثناء سير الصليبيين عبر بلاد البلغار، كما أن الفصل الثانى: فقد جاء بعنوان: " بلغاريا والحملة الصليبية الأولى [النظامية] (حملات الأمراء الصليبيين) " حيث أوضح فيه الباحث الموقف البلغارى والبيزنطى من حملات الأمراء وهم: هيو العظيم كونت فرماندوا Hugh of Vermandois، والدوق جود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon، والأمير بوهمند النورمانى Bohemond of Normande، وريمونداجيل Rimondagel، وروبرت النورمانى

Robert of Normande والدور الذى قام به البلغار والبيزنطيون لإمداد جيوش هؤلاء الأمراء بالمؤن والتمويل لتسهيل مهمتهم، وكذلك ردود أفعالهم حيال تصرفات الاعتداء التى أفتعلها الصليبيين ببلاد البلغار.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: "بلغاريا والحملة الصليبية الثانية" ويتضمن الحديث فيه عن الحملة الألمانية بقيادة الملك كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨ - ١١٥٢م)، وتحرك الجيش الألماني نحو بلغاريا للسير من خلال أراضيها تجاه الأراضى المقدسة، وموقف البلغار والبيزنطيين من قدوم الألمان، ثم اجتياز الحملة الألمانية لأراضى البلغار، كما تناولت فى هذا الفصل موقف البلغار والبيزنطيين من حملة الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧ - ١١٨٠م)، ثم اجتياز الفرنسيين لبلاد البلغار.

وبالنسبة إلى الفصل الرابع فكان عنوانه: "بلغاريا وحملة الإمبراطور فردريك الأول بربروسا"، وقد جاء فى هذا الفصل الحديث عن الدعوة للحملة الصليبية الثالثة، وتقدم الملك الألماني فردريك لاجتياز بلاد البلغار، والسفارات التى تم تبادلها بين الألمان والبيزنطيين على الأراضى البلغارية لتسهيل مهمة الصليبيين فى عبور الأراضى البلغارية، ثم الإشارة إلى التحالف الألماني البلغارى الصربى ضد بيزنطة، وكذلك ردود أفعال البلغار والبيزنطيين جراء عبور الألمان لأرض البلغار، ثم اجتياز الإمبراطور فردريك الأول للبلاد البلغارية نحو الشرق الإسلامى.

وكان الفصل الخامس بعنوان: "بلغاريا والحملة الصليبية الرابعة" وقد تضمن الحديث فيه عن الدعوة للحملة الصليبية الرابعة، وعرض البلغار مشاركة الصليبيين فى اقتحام القسطنطينية، ثم التحالف البلغارى البيزنطى ضد الصليبيين على إثر رفض الأخيرين مشاركة البلغار فى غزوهم للقسطنطينية، ثم الهجوم البلغارى على المدن البيزنطية الواقعة تحت السيادة الصليبية، وهزيمة الصليبيين أمام أدرنة سنة ١٢٠٥ م، واجتياح البلغار للمدن والقلاع الصليبية، والتحالف الذى ربط بين البلغار وثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris إمبراطور نيقية (١٢٠٤ - ١٢٢٢م)، ثم الصدام الذى وقع بين البلغار والصليبيين عام ١٢٠٧م، ومقتل بونيفاس دى مونتفرات Boniface de Monteferrat (١٢٠٤ - ١٢٠٧م)، والموت المفاجئ للقائد البلغارى كالوجان Kalojan (١١٩٧ - ١٢٠٧م) ونهاية الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٧م باستيلاء الصليبيين على القسطنطينية وتكوين الملكة اللاتينية (١٢٠٤ - ١٢٦١م).

وقد أنهت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التى أمكن للباحث التوصل إليها من خلال الأحداث التاريخية التى استعرضها على مر صفحات البحث. وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى كل هؤلاء الذين ساعدونى لإتمام هذا العمل المتواضع، وأخص بالشكر أستاذى الأستاذ الدكتور /

عادل عبد الحافظ حمزة أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنيا، على تفضله بالموافقة على الإشراف على هذا البحث، ومراجعته وتصويب أخطائه، ونصحه وإرشاده ورعايته للباحث، فليسيادته منى وافر الشكر والتقدير، وجزاه الله عنى خير الجزاء، وأنعم عليه بكامل الصحة.

كما أولى شكرى وامتنانى للعالم والمؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور/ وسام عبد العزيز فرج أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ والعميد السابق لكلية الآداب جامعة المنصورة، على إرشاداته ونصحه، كما أقدم شكرى كذلك إلى العالمة والمؤرخة القديرة الأستاذة الدكتورة / لىلى عبد الجواد إسماعيل أستاذ تاريخ العصور الوسطى والرئيس السابق لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة على ما قدمته لى من نصح وإرشاد طوال فترة البحث، إلى جانب رعايتها للباحث ومتابعته، متمها الله بالعافية والصحة وبارك فيها.

كما أتقدم بالشكر كذلك إلى كل من الأستاذ الدكتور / فايز نجيب إسكندر أستاذ تاريخ العصور الوسطى والرئيس السابق لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة بنها، والدكتور/ الأمين أبو سعدة أستاذ تاريخ العصور الوسطى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة طنطا، والدكتور / عبد العزيز رمضان مدرس تاريخ العصور الوسطى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس، وكذلك الدكتور/ أحمد كامل عبد المقصود مدرس تاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنصورة، والأستاذة الباحثة/ نعيمة محمد إبراهيم، على ما قدموه للباحث من نصح وإرشاد، أو كتب من مكتبتهم الخاصة جزاهم الله عنى خير الجزاء، كما أود أن أولى شكرى أيضاً إلى Prof. Dr: Dimitar Dimitrov بجامعة ترنوفو Tomovo بلغاريا، والدكتورة/ فاركش أنكو Farka Aniko مدرس التاريخ الحديث - كلية الآداب - جامعة ساجاد - المجر، وكذلك نيافة الأب منصور مستريح مقدم دير الآباء الفرنسيسكان لما قدمه للباحث من ترجمات عن الأصول اللاتينية للعربية، وإلى كافة الزملاء الباحثين بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية، والأخوة والأهل والأستاذ محمد عايد.

كما أتقدم بالشكر كذلك لكل العاملين بمكتبات كلية الآداب، والمكتبة المركزية جامعة القاهرة، وبخاصة السيدة/ هناء السرجانى، والأستاذ/ أمين عبد المنعم جبر أمين المخزن الإفرنجى، والمكتبة المركزية جامعة عين شمس، وديرى الآباء الدومنيكان والفرنسيسكان، ومكتبة دار الكتب المصرية، ومركز البحوث الأمريكى، والمركز الثقافى الفرنسى، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية، والمركز الثقافى المجرى، والمركز الثقافى البلغارى، ومكتبة القاهرة الكبرى بالزمالك، والجامعة الأمريكية بالقاهرة.

هذا وعلى الله قصد السبيل،،،

الباحث

دراسة تحليلية لأهم المصادر

"إن دراسة تاريخ أقاليم الدولة البيزنطية عادةً ما يكون عرضة لقلّة المعلومات، حيث إن المؤرخين البيزنطيين لم يهتموا كثيراً بالأحداث التي كانت تقع خارج العاصمة الإمبراطورية القسطنطينية بخلاف جبهات القتال، ولا نستطيع أن نتعرف على أية صورة من صور الحياة في الأقاليم في الظروف الطبيعية، إلا من خلال بعض سير القديسين أو خطابات موظفي الأقاليم"^(٤)، بهذه الكلمات استطاع ستيفن رنسيمان Runciman (steven) أن يعبر عن معاناته وكذلك الباحث عن ندرّة معلوماته أثناء دراسته التي أعدها عن رحلة الصليبيين الأولى عبر شبه الجزيرة البلقانية وبلاد البلغار.

وإذا كان البعض يذكر أن تاريخ العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والبلغار كانت قبيل وبعد وصولهم إلى منطقة جنوب نهر الدانوب عام ٦٨١م، لا يرونها إلا من خلال العيون البيزنطية فقط^(٥)، فإنه وعلى مدار البحث في كثير من الأحيان ننظر كذلك بعيون المصادر الغربية اللاتينية على فترة من أهم فترات تاريخ العصور الوسطى، وهي الحروب الصليبية بعامة، وعلى دور بلغاريا تجاه هذه الحركة بصفة خاصة. فسارت بذلك المصادر اللاتينية جنباً إلى جنب مع نظيرتها البيزنطية.

لكن قبل التطرق لهذه المصادر لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الباحث أعتمد في دراسته على عدد من الرسائل والخطابات التي أثرت البحث بشكل طيب.

• الرسائل والخطابات:

- الرسائل:

وكان أول تلك الرسائل ما سطره ثيوفيللاكت Theophylacti^(٦) رئيس أساقفة بلغاريا (١٠٩٠ - ١١٠٩م) سنة ١٠٩٦ م، والتي كتبها من مقره بالمدينة البلغارية أوخريدا Ochrida - الواقعة على الطريق الرئيس اجناتيا Via Egnatia - وقد بين فيها المعاناة التي قاساها الريف البلغاري أثناء عبور الحملة الصليبية الأولى به، والكره الشديد الذي كان يكنه البلغار أهل البلاد، وكذلك رجال الدين الصليبيين نظراً لما عانوه على أيديهم من انتهاك لحرمتهم وتدمير لمحاصيلهم وأراضيهم وكنائسهم، وكان الباحث قد استفاد من هذه الرسائل فيما يخص حملتي والترافلس Walter Sans- Avoir وبترس الناسك Pierre L'Ermite الصليبيتان من الفصل الأول في البحث.

- الخطابات:

- ومن الخطابات التي اعتمد عليها البحث كذلك، الخطاب الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel I Comnenus (١١٤٣ - ١١٨٠م) إلى الملك الفرانكي ليويس السابع Louis VII سنة ١١٤٦م. والذي يعبر له فيه عن عظيم شوقه إلى مشاهدته بعد تلقيه رسالته، ويعدّه بحرية المرور عبر أراضيّه عند قدومه في

حملته على اورشليم^(٧). وقد أفاد الباحث من هذا الخطاب فى الفصل الثالث من دراسته، خاصة حملة الملك لويس السابع الصليبية على الشرق، حيث ألقى هذا الخطاب الضوء على الاستعدادات التى أعدها الإمبراطور البيزنطى للجيش الفرنسى حتى يعبر الأراضى البلغارى ونظيرتها البيزنطية على السواء، بصفته الحاكم الأعلى للإقليم البلغارى وأيضاً إمبراطور بيزنطة. وقد نشر هذا الخطاب ضمن مجموعة مؤرخى بلاد الغال وفرنسا.

- أما ثانى الخطابات التى رجع إليها الباحث فى الفصل الخامس من دراسته، تلك التى تم تبادلها بين القيصر البلغارى كالوجان Calojean والبابوية فى روما بشأن تنويع الأول ملكاً على البلغار، عام ١١٩٩م، ١٢٠٣م، ١٢٠٤م^(٨). وقد كشفت لنا هذه المراسلات كيف كانت العلاقة بين البلغار والبابوية، ومدى السعادة التى انتابت الأخيرة جراء التقارب البلغارى إليها، كما تبين أيضاً كيف أن البابوية استغلت ذلك وقامت بتنويع العاهل البلغارى لضمه لصالحها والقضية الصليبية، عن طريق استخدام الأراضى البلغارى كطريق للوصول إلى البيت المقدس.

- أما ثالث الخطابات التى أفادت البحث كذلك فى فصله الخامس الخطاب الذى كتبه الإمبراطور هنرى أوف فلاندرز Henry of Flanders إمبراطور الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية (١٢٠٦ - ١٢١٦م) إلى البابا فى روما^(٩)، ويروى فيه أحداث معركة أدرنه عام ١٢٠٥ م التى وقعت بين الصليبيين والبلغار، وأسر الإمبراطور بلديون Balduini (١٢٠٤ - ١٢٠٥ أو ١٢٠٧م) على أيدي البلغار فى هذه الموقعة، وفى الحقيقة فإن هذا الخطاب يمثل تقريراً مفصلاً عن الحالة العسكرية للصليبيين فى الإمبراطورية اللاتينية وكذلك البلغار.

• المصادر البيزنطية:

- ثيوفانيس Theophanes، (تاريخ الأزمنة Chronographia) (١٠).

أما عن أولى المصادر البيزنطية المهمة التى أفادت البحث ما سطره الراهب ثيوفانيس Theophanes من خلال حوليته المشهورة "Chronographia" (تاريخ الأزمنة). وكان ثيوفانيس قد ولد فى أسرة من أسر القسطنطينية الكبيرة البارزة عام ٧٦٠م، وحظى برعاية الإمبراطور ليو الخامس Leo V (٨١٣ - ٨٢٠م)، ومع أنه تزوج وهو فى الثامنة عشرة من عمره من (مجالو Megalo) ابنة أحد البطارقة إلا أنه ما لبث أن تهرب وذلك بموافقة من زوجته، وإن لم تقع هذه الخطوة من الإمبراطور موقع القبول، ثم استقر به المقام فى الدير الذى كان أبوه قد أسسه فى "سجريانه" Sygrisane بالساحل الجنوبى لبحر مرمرة؛ لأنه أنشأ فيما بعد ديراً خاصاً به فى جزيرة "كالونيموس" Kalonimos المجاورة.

وقد عرف ثيوفانيس بأنه كان الناطق بلسان منافس " ليو الخامس " المناهض لإحياء الحركة اللايقونية مما أدى إلى الزجج به فى السجن ثم انتهى الأمر بنفيه إلى جزيرة سانوتراس " SanoThvace التى كانت وفاته بها فى مارس ٨١٨م^(١١) .

ولقد كان أعظم ما أدى إلى زيوع صيته وانتشار اسمه هو حوليته المعروفة باسم Chronographia التى وضعها فيما بين عامى ٨١٠ و٨١٤م، وجعلها ذليلاً وتكملة لما كتبه صديقه " جورج سينكيلوس " Synkelos وهى الحوليات التى تغطى السنوات من ٢٨٤ إلى ٨١٣م بعد أن رتبها، ولكن يغلب عليها طابع السذاجة، كما تنقصها الروح النقدية والدقة، وكان هدفه الذى يبغيه من ورائها هو أن تكون تهديفاً للرهبان وتثقيفاً لهم، وقد استمد بعض مادتها من مصادر تعتبر الآن فى عداد المصادر المفقودة، وترجم الكتاب من اللغة اليونانية إلى اللاتينية حوالى سنة ٨٧٥م، وكانت هذه الترجمة ميسرة للمؤرخين الغربيين فى العصور الوسطى، ثم زاد عليها فريق من المؤرخين اليونان المجهولين فى القرن العاشر بتشجيع من الإمبراطور قسطنطين السابع Constantin VII (٩١٣ - ٩٥٩م) وقد بلغت هذه الزيادة ستة كتب غطت السنوات من ٨١٣ حتى ٩٦١م، وجعلوا لها عنواناً هو الذيل على ثيوفانيس Scriptores Post Theophanes^(١٢) .

وكان ثيوفانيس قد كتب حوليته تاريخ الأزمنة قبل وفاته بنحو ثلاث سنوات (أى سنة ٨١٥م)، واتبع خلالها النظام الحولى، فكان يذكر فى بداية تأريخه لكل سنة ترتيب هذه السنة منذ بداية خلق العالم، وما يعادلها من السنوات الميلادية^(١٣)، وترجع أهمية هذه الحولية للاهتمام الذى أولاه ثيوفانيس Theophanes للبلغار، وقد أمد البحث بمادة طيبة فى الدراسة التمهيدية، إذ قدم لنا معلومات غاية فى الأهمية عن أصل البلغار، وارتحالهم من آسيا إلى أوروبا، واستقرارهم بمنطقة البلقان، وامتداد أملاكهم وتوسعها على حساب الإدارة البيزنطية، وحملات قسطنطين الرابع Constantin (٦٦٨ - ٦٨٥م) على البلغار وهزيمته أمامهم، واعترافه بقيام الدولة البلغارية الأولى (٦٨١ - ١٠١٨م)، وأشار ثيوفانيس كذلك إلى حملات الإمبراطور قسطنطين الخامس ConstantinV (٧٤١ - ٧٧٥م) ضد البلغار، والصراع السياسى الذى وقع بين الجانبين. ولكن يؤخذ على ثيوفانيس Theophanes تعصبه الشديد لبيزنطة، وكرهه للبلغار، وقد ظهر هذا جلياً من خلال وصفه للبلغار على أنهم برابرة.

- جورج كدريينوس Cedrenus. G: (تاريخ العالم Historiarum Compendium) (١٤)

ومن المصادر المهمة التى أفادت البحث كذلك ما كتبه المؤرخ جورج كدريينوس Cedrenus. G فى القرن الحادى عشر الميلادى بعنوان " Historiarum Compendium " (تأريخ العالم)، وفيه أرخ لتاريخ العالم منذ آدم وحتى عام ١٠٥٧م، ولا نعرف شيئاً عن سيرة كدريينوس، ولكن يبدو أنه كان كاهناً أو راهباً، ويحملنا على ذلك أسلوبه

والتفاصيل التي يذكرها عن الطقوس الدينية، فهي تدل على أن كاتبها كان ينتمي إلى سلك الكهنوت، كما أننا لا نعرف أيضاً على وجه التحديد الفترة التي عاشها كدريوس، ويبدو أنه شهد عصر الإمبراطور إسحق الأول كومنين Comnenus Issac I (١٠٥٧ - ١٠٥٩ م) (١٥).

وقد قسم كدريوس كتابه إلى ثلاثة أجزاء، اعتمد فيها حتى عام ٨١١ هـ - على ما كتبه ثيوفانس Theophanes وغيره من المؤرخين. أما الفترة التالية فأعتمد على ما كتبه يوحنا سكليتس John Scylitzes (١٦) وقد شارك كدريوس من سبقه من المؤرخين في سرد العلاقات بين البيزنطيين والبلغار حتى إذا ما حل الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي وجدناه ينفرد بالتأريخ لهذه العلاقات فزودنا بمعلومات فيما يتعلق بالأخوة الأربعة البلغار الملقبين باسم الأخوة الكوميتوبولي Comitopuli والذين حملوا لواء المقاومة ضد البيزنطيين ومنهم القيصر صمويل Samuel (٩٧٦ - ١٠١٤ م) الذي أحيى الإمبراطورية البلغارية في بلغاريا الغربية، وتمكن بمرور الوقت من استعادة معظم بلغاريا الشرقية من البيزنطيين، كما أمد كدريوس الباحث - في الدراسة التمهيدية - بالمعلومات التي قدمها عن العلاقات البيزنطية البلغارية في عهد الدولة البلغارية الأولى، والصراع الذي دار بين باسيل الثاني Basil II والقيصر صمويل، وهو الصراع الذي انتهى بسقوط دولة البلغار الأولى عام ١٠١٨ م (١٧)، وحديثه كذلك عن الثورات التي قام بها البلغار ضد الوجود البيزنطي على أراضيهم في عهد خلفاء الإمبراطور باسيل الثاني، وكان من أهم هذه الثورات ثورة بطرس دليان Peter Deljan عام ١٠٤٠ م، وثورة تيهومير Tihomir وألوشيان Alusian في عام ١٠٤١ م (١٨)، هذه الثورات التي مهدت لثورة الكبرى التي قام بها يوحنا أسن John Asan وتأسيس دولة البلغار الثانية عام ١١٨٥ م. ويؤخذ على كدريوس Cedrenus أنه يؤرخ لأحداث متنوعة دون مراعاة التسلسل التاريخي، وذكره لأحداث مختلفة بتفاصيل واحدة، وتحيزه المبالغ فيه للبيزنطيين باختلاق بعض القصص والروايات لتبرير ما يلحق بالبيزنطيين من هزائم (١٩).

- يوحنا زوناراس Zonaras John: (مختصر التواريخ Epitomae Historiarum) (٢٠) -

يعد يوحنا زوناراس Zonaras John ثالث المصادر البيزنطية التي أفادت البحث وذلك من خلال مؤلفه مختصر التواريخ Epitomae Historiarum، الذي كتبه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ويقع في ثلاث مجلدات، تتناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ١١١٨ م. وكان زوناراس قد شغل عدداً من الوظائف في البلاط البيزنطي إبان عصر أسرة كومنين، حيث عمل رئيساً للحرس Megas droungarios tes viglas وسكرتيراً خاصاً للإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I

Comnenus (1081 - 1118 م)، ولكنه تقاعد في عهد يوحنا الثاني كومنين John II Comnenus (1118 - 1143 م) واكتفى بأن يكون راهباً في أحد الأديرة حيث قضى هناك بقية حياته عاكفاً على التأليف إلى أن وافته المنية عام 1159 م أو بعده بقليل (21).

وكانت الفترة التي عمل فيها زوناراس في البلاط الإمبراطوري خير معين له ليستقى معلوماته من السجلات الرسمية للدولة البيزنطية، ولهذا احتلت حوليته مكانة مهمة بين الحوليات البيزنطية الأخرى (22)، وقد أفاد منه الباحث في الفصل التمهيدى بما قدمه زوناراس Zonaras من معلومات عن أصل البلغار وتكوين دولتهم الأولى وعلاقتهم بالبيزنطيين والثورات والفتن الداخلية التي هدت وحدة دولة البلغار الأولى، والصراع البيزنطى البلغارى بين باسيل الثانى Basil II والقيصر صمويل Samuil والذي انتهى بنصر البيزنطيين (23)، كما أفرد لنا أيضاً معلومات عن تولية الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus (1081 - 1118 م) للحكم وسياسته تجاه الصليبيين خاصة الأمير بوهيمند النورمانى Bohemond of Normende، ويؤخذ على زوناراس الإيجاز الشديد فى معظم الأحداث التي تناولها وتحيزه للبيزنطيين وسعيه الدائم لتبرئه الجيوش البيزنطية مما حاق بها من هزائم فى بعض الأحيان (24).

- أنا كومنيننا Anna Comnena، (الألكسياد Alexiad) (25):

أما رابع المصادر البيزنطية فيأتى كتاب الألكسياد Alexiad للأميرة أنا كومنيننا Anna Comnena التي أطلقت هذا الاسم على كتابها تكريماً لوالدها الإمبراطور ألكسيوس كومنين، وقد ولدت أنا بالحجرة الأرجوانية فى ديسمبر نهاية عام 1083 م، وتوفيت عام 1148 م أو 1153 م عن 66 سنة تقريباً، وكتابها عبارة عن سجل شامل لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية فى الفترة من 1069 - 1118 م، وضعته الأميرة باللغة اليونانية السائدة وقتذاك، وبدأت فى تدوينه فى عام 1137 م، بعد أن قام أخوها يوحنا الثانى كومنين Jean II Comnenus (1118 - 1143 م) بحبسها فى أحد الأديرة بعد وفاة زوجها نقفور برينوس Nicephore Bryennius فعكفت على كتابته إلى أن أتمته فى عام 1148 م (26)، معتمدة فى ذلك على ما دونه زوجها، وما سمعته من والدها ورجال البلاط الذين عاصروا الأحداث التي وقعت قبل مولدها أو خلال فترة طفولتها (27)، وقد أمدنا الكتاب بمعلومات قيمة فى الفصل الأول عن الحملة الصليبية الأولى والدعوة لها، وتتبعها لخطوات حملة العامة والأفعال المشينة التي ارتكبوها فى البلاد التي ساروا فيها، وكذلك حملة الأمراء فى الفصل الثانى من البحث، ولكن مما يؤخذ على أنها لم تذكر لنا تفصيلات كثيرة عن عبور جيوش العامة أو حتى حملة الأمير جودفرى دى بوايون Godefroy de Bouillon فى بلاد البلغار، وبالتالي لم تشر إلى الصعوبات التي واجهت الصليبيين أثناء عبورهم للأراضى البلغارية والعلاقة بينهم وبين موظفى الإدارة

البيزنطية في بلغاريا، ولعل ذلك يعود إلى أنه لم يكن لديها مصدرًا شخصيًا للمعلومات عن الإقليم البلغاري وبخاصة طريق بلجراد Belgrade القسطنطينية^(٢٨).

أما عن معلوماتها عن حملات الأمراء الذين عبروا بلغاريا من خلال طريق إجناتيا Via Egnatia، فكانت تستقيها من خلال ابن عمها حنا كومنين John Comnenus دوق دورازو أو دراخيوم Dyrrachium، فهو يعتبر بذلك مصدر معلوماتها الشخصي^(٢٩)، وما لا يدع مجالاً للشك أن كتاب الألكسياد Alexiad لأنها كومنيننا Anna Comnena يعد نموذجاً فريداً للكتابات التاريخية البيزنطية.

- نيقتاس خونياتس Choniates Nicetas، (التاريخ Historia)^(٣٠)،

ويأتي كتاب نيقتاس خونياتس Choniates Nicetas "التاريخ" Historia الذى يتناول الفترة من عام ١١١٨ - ١٢٠٦م كواحد من أهم مصادر التاريخ البيزنطى. وكان كتاب التاريخ هذا قد وضع نيقتاس فى مكان الصدارة بين مؤرخى القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين، ولد نيقتاس حوالى عام ١١٥٥م ببلدة خوناي Chonai^(٣١) إحدى مدن إقليم فريجيا فى آسيا الصغرى، ولهذا فإن اسمه اقترن بمسقط رأسه، وفى التاسعة من عمره أرسل إلى العاصمة البيزنطية حيث عكف على الدراسة والتعليم تحت رعاية شقيقه الأكبر ميخائيل خونياتس Chaniates Michael، وكان ميخائيل قد انخرط فى السلك الكنسى، وتدرج فى المراتب الكنسية إلى أن أصبح أسقفًا على أثينا طوال الفترة من ١١٨٢م وحتى ١٢٠٤م، هذا بينما أختار نيقتاس مجال العمل الوظيفى فالتحق بالبلاط البيزنطى وارتقى أعلى الدرجات الإدارية^(٣٢)، فبدأ عمله سكرتيراً فى بلاط الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين Manuel I Comnenus، ثم أصبح عضواً فى مجلس السناتو، كما عمل قاضياً، ثم تقلد منصب كبير كتاب المراسم الإمبراطورية، وفى عام ١١٨٩م عين نيقتاس Nicetas حاكماً لثغر فيليبوبوليس Philippopolis الواقع فى إقليم مقدونيا، وذلك فى عهد إسحق الثانى أنجيلوس Issac II Angelios ثم رقى إلى مرتبة الحاكم الجليل^(٣٣) Sebastokrator^(٣٤)، واضطر نيقتاس إلى الفرار بعد سقوط القسطنطينية فى قبضة الصليبيين سنة ١٢٠٤م، فوجد ملاذاً عند إمبراطور نيقية ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris، الذى استقبله فى بلاطه بحفاوة بالغة، وأعاد إليه كافة الامتيازات التى كان يتمتع بها من قبل، وأضحى أقرب المقربين إليه، حتى انتهت حياته بمدينة نيقية فى تاريخ غير معروف يمكن تحديده فى الفترة ما بين عامى ١٢١٠، ١٢٢٢م^(٣٥).

وبذلك أتاحت له كافة الإمكانيات لكى يخصص أواخر أيام حياته لأعماله الأدبية المميزة، وإنهاء مصنفه التاريخى الضخم بعنوان "التاريخ" Historia، والتى بدأه بوفاة الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus فى ١٥ أغسطس سنة ١١١٨م مروراً بعهد الإمبراطور يوحنا الثانى كومنين Jean II Comnenus، ثم عهد الإمبراطور

الكسيوس الثاني II Alexius (١١٨٠ - ١١٨٣م) فأسرة أنجيلوس Angelios، وحتى استيلاء الصليبيين على القسطنطينية ١٢٠٤ م، وقد ذيل نيقثاس كتابه بملحق موجز عن الآثار التي دمرها الصليبيون في القسطنطينية عند اقتحامهم إياها عام ١٢٠٤م^(٣٦).

وبالرغم من أن نيقثاس لم يشر إلى المصادر التي استقى منها مادته التاريخية إلا أنه من الواضح أن المناصب التي تقلدها مكنته من الاتصال بكبار رجال عصره الذين كانوا يحركون الأحداث كالقادة العسكريين، ورجال البلاط^(٣٧)، كما أنه استقى مادته أيضاً من الروايات الشعبية التي تناقلها البعض خاصة فيما يتعلق بموقف الدولة البيزنطية من الحملة الصليبية الثانية، وبالرغم من أنه لم يراع التسلسل الزمني أو تحديد السنوات التي وقعت بها الأحداث، وميله إلى الاستطراد، إلا أنه قدم مادة تاريخية ثرية، كما أن أسلوبه اتسم بالفصاحة والبلاغة وقد أفادنا نيقثاس في الحديث عن الضعف والمخاطر الخارجية التي هددت الإدارة البيزنطية في بلغاريا، ومدى إفادة البلغار من هذا الضعف بعد وفاة العاهل البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel I Comnenus، ومحاولتهم الاستيلاء على بيزنطة، كما سرد لنا نيقثاس كذلك أحداث المقابلة التي تمت بين يوحنا أسن John Asan وبطرس Peter أخيه من ناحية، والإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس Issac II Angelios من ناحية أخرى، وما نتج عن هذه المقابلة من ترمد أدى إلى قيام الدولة البلغارية الثانية عام ١١٨٥م، هذا إلى جانب ما أمدنا به نيقثاس في الفصل الثالث من معلومات عن السفارات المتبادلة بين الألمان والإمبراطور البيزنطي مانويل ليأذن لهم الأخير باجتياز أراضيهم وبلاد البلغار، وإمداده بالموث والتمويل اللازم للجيش الصليبي، وعن الاستعدادات التي قام بها الإمبراطور مانويل للدفاع عن إقليمه البلغاري، ومسلك الجيش الألماني والفرنسي داخل الأراضي البلغارية والبيزنطية، ثم أفادنا أيضاً في الفصل الرابع من البحث بما قدمه عن الإمبراطور فردريك الأول بربروسا Frederick I Barbarossa، واجتيازه بلاد البلغار والتحالف الذي حاول البلغار والصرب عقده مع العاهل الألماني ضد الإمبراطورية البيزنطية، هذا إلى جانب استفاضته في الحديث عن أحداث الحملة الصليبية الرابعة، واحتلال الصليبيين للقسطنطينية عام ١٢٠٤م، والتعاون البلغاري البيزنطي ضد الوجود الصليبي ببلادهم بعد رفض الصليبيين عرض البلغار مشاركتهم الهجوم على بيزنطة، وعلى هذا فإن نيقثاس يعد بحق من المصادر البيزنطية المتميزة التي أفادت البحث في كثير من جوانبه.

- يوحنا كيناموس (John Kinnamos)؛ أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس (Deeds of John and Manuel Comnenus) (٣٨)

أما عن سادس المصادر البيزنطية والأخيرة مؤلف يوحنا كيناموس، الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث إنه ولد بعد عام ١١٤٣م من أبوين ذوي مركز اجتماعي مرموق، وكان قد عمل سكرتيراً في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنين

Manuel I Comnenus^(٣٩)، ومن ثم كان واحداً من مجموعة الكتبة الكبار المرتبطين بالبلاط الإمبراطوري ويشخص الإمبراطور، وقد نال ثقة العاهل البيزنطي مانويل حتى أننا نراه يستدعيه لمشاورته في العديد من الأمور المتعلقة بالفلسفة الأرسطية^(٤٠)، وكان بحكم وظيفته كسكرتير للإمبراطور فقد مكّنه هذا من الإطلاع على العديد من الوثائق الهامة المحفوظة بالقصر الإمبراطوري، وتمتاز كتابته بالدقة والمعرفة الواسعة، ويلاحظ إعجابه الشديد بمانويل وسياسته العسكرية^(٤١) ضد المجرين والبلغار والصرب، ويبدو أن عمل كيناموس هذا لم يكتب له الاكتمال خاصة وأنه يتوقف عند أحداث عام ١١٧٦ م بصورة فجائية غير ممد لها^(٤٢).

وقد أمدنا كيناموس بمعلومات مهمة خاصة في الفصل الثالث من الرسالة والذي يتحدث عن الحملة الصليبية الثانية، والتحرك الألماني نحو الأراضي البلغارية والبيزنطية، والمراسلات التي تمت بين الألمان والبيزنطيين لعبور الجيش الألماني للأراضي البلغارية وكذلك البيزنطية، وإمدادهم بالمؤن اللازمة لرحلتهم، وتأمين الطرق لهم عبر بلاد البلغار، وكذلك الجيش الفرنسي، ومرور الجيشين بأرض البلغار والبيزنطيين حتى عبورهم لآسيا الصغرى.

• المصادر اللاتينية،

- المؤرخ المجهول، (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس *Gesta francorum et aliorum hierosolyitanorum*).

أما عن المصادر اللاتينية، فهناك عدد من المؤرخين اللاتين سجلوا لنا تاريخ هذه الحركة الصليبية وجيوش الغرب الأوربي منذ خروجها من أوروبا عام ١٠٩٦ م وحتى عام ١٢٠٧ م، فبالنسبة لمؤرخي الحملة الصليبية الأولى فإنهم ينقسموا إلى قسمين يضم الأول ثلاثة مؤرخين شهود عيان وهم، المؤرخ المجهول - صاحب كتاب "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" - والذي لا يعرف على وجه التحديد اسمه وتاريخ مولده ووفاته، لكن من الأرجح أنا وفاته كانت بعد عام ١٠٩٩ م، حيث انتهى كتابه الذي ختمه بواقعة عسقلان التي حدثت في ١٢ أغسطس من العام السابق^(٤٣). ولقد اختلفت الآراء حول منشأ هذا الرجل وموطنه الأول، حيث ذكر أنه كان تابعاً لبوهيمند النورمانى، وجاء من جنوب إيطاليا في القرن الحادى عشر الميلادى، ويعد كتاب أعمال الفرنجة للمؤرخ المجهول، من المصادر الأساسية التي لا غنى عنها في تاريخ الحملة الصليبية الأولى في الفترة الممتدة من سنة ١٠٩٥ إلى سنة ١٠٩٩ م، والمتصفح في هذا الكتاب يدرك على الفور أن شخصاً ثانياً اشترك مع المجهول في تأليفه، إذ نلاحظ وجود أسلوبين متميزين عن بعضهما البعض أولهما: أسلوب ضعيف ركيك يدل على أن كاتبه لم ينل حظاً وافراً من التعليم، وثانيهما: مدون بأسلوب أكثر نقاء وبلاغة وأشد عمقاً وتعقيداً من سابقه.

ومهما يكن من أمر، فإنه يتبين من مقارنة ما كتبه المؤرخ المجهول، وما دونه غيره من اللاتين المعاصرين له، أن روايته تمتاز بصحتها، حتى لقد رجع إليه معظم الذين كتبوا عن هذه الفترة من أمثال روبرت الراهب، وتيدوبودة. ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن كتابات المؤرخ المجهول كانت تتسم بصفة عامة بطابع التحامل على المسيحيين الإغريق، وطابع الحقد والتعصب ضد العرب^(٤٤). لذا يجب أن نتوخى الحذر عند الأخذ عنه. وقد أفاد الباحث منه في الفصل الأول، حيث أتى بمادة طيبة عن الحملة الصليبية الأولى منذ خروجها من أوروبا وحتى سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين، كما تحدث عن الطرق التي سلكها الصليبيين سواء أكانوا من العامة أو حتى من الأمراء في الفصل الثاني من البحث، غير أنه من الملاحظ أن معلوماته عن عبور تلك الجيوش للأراضي البلغارية كانت قليلة.

- ريمونداجيل، (تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس Jharusalem Francorum).
- Historia Qui ceperum Jharusalem

أما عن ثاني مؤرخي شهود العيان فهو ريمونداجيل صاحب كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس وكان ريمونداجيل ينتمي إلى آجيل Aighuile في مقاطعة اللوار الأعلى Haute بفرنسا، وقد انضم إلى المندوب البابوي "أدهيمر دى مونتيل Adhemer de Monteil أسقف بويه Le Puy عند اشتراكه في الحملة الصليبية الأولى ثم أصبح كاهناً لريموند كونت تولوز^(٤٥)، وبدأ كتابة مؤلفه تاريخ الفرنجة أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية في عام ١٠٩٨ م / ٤٩٢ هـ، وأتمه في نهاية عام ١٠٩٩ م بواقعة عسقلان، وقيل أن ريمونداجيل استهدف من وضع كتابه هدم الأكاذيب التي نشرها في الغرب الأوروبي، أولئك الذين فروا من ميدان القتال في الشرق عائدين إلى بلادهم، حيث أخذوا يبشرون الدعايات بقصد منع أهل الغرب من الذهاب لمساعدة إخوانهم في الشرق، وقد وضع ريمونداجيل كتابه هذا بلغة لاتينية رديئة، إذ كان محدود الثقافة والتعليم وليس من السهل تتبع طريقة معالجته للأحداث بسبب غموضها، ويعزى هذا العيب في الغالب إلى تردد المؤلف في سرد الأحداث حتى لا يقع في أخطاء تقلل من قيمة الكتاب، والمتصفح له يدرك أيضاً أن صاحبه كان يقبل كل ما يسمعه أو يروى له كحقيقة ثابتة ولذلك يجب عند استخدامه توخي الحرص والحذر^(٤٦). وقد أفادنا في الحديث عن الحملة الصليبية الأولى، وخاصة ما سرده عن عبور الكونت ريمونداجيل خلال دالماتيا، والصعوبات التي واجهت جيشه على يد الصرب والكروات ثم البلغار فالبيزنطيين، وتقدمه نحو الأراضي البيزنطية بعد ذلك والعلاقة التي ربطت بينه وبين الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus.

- فوشيه الشارترى، Foucher de Charter، (تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥ - ١١٢٧ م - Ahis

(tory of the Expedition to Jerusalem (1095-1127)).

ثم يأتي ثالث شهود العيان وهو فوشيه الشارترى وهو من المعاصرين للحملة الصليبية الأولى، وكتابه "تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥ - ١١٢٧م، كان فوشيه قد ولد بمدينة شارتر بفرنسا عام ١٠٥٩م وأصبح كاهنًا، وحضر مجمع كليرمونت Clermont، ثم توجه إلى الشرق عند قيام الحملة الصليبية الأولى في صحبة روبرت النورمانى، وبعد عبور الصليبيين لآسيا الصغرى صحب بلدوين شقيق جودفري دى بوايون Godefroy de Bouillon إلى الرها ليؤسس الأول بها إمارته الصليبية، وأصبح فوشيه كاهنًا لكنيسته، وظل ملازمًا لبلودوين حتى وفاه الأخير عام ١١١٨م^(٤٧).

وقد سجل فوشيه مشاهداته فى مؤلفه تاريخ الحملة، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبه حوالى سنة ١١٠٥م، وينتهى بموت جودفري، والقسم الثانى ينتهى بموت بلدوين الأول سنة ١١١٨م، أما القسم الثالث والأخير فيستمر حتى سنة ١١٢٧م. التى يتوقف عندها الكتاب فجأة، وتنحصر قيمة الكتاب فى أن صاحبه لم يدون سوى الأحداث التى شاهدها بنفسه أو تلك التى رواها له شهود العيان، أو التى جمعها من مصادر موثوق بها، وقد أثبتت البحوث التاريخية، أن كتاب فوشيه يعد مصدر ثقة فى تاريخ هذه الفترة، إذ أبدى وعيًا لا بأس به، وفهمًا دقيقًا للموضوعات التى تناولها، ويكفى أن عددًا كبيرًا من المؤرخين اللاتين المعاصرين له والذين جاءوا بعده قد اعتمدوا عليه فى سرد أحداث الحملة الأولى، ومن هؤلاء المؤرخ بودرى دى بورجى الذى أفاد فائدة كبرى من القسم الأول من الكتاب^(٤٨).

هذا وقد أفادنا كتاب فوشيه فى الفصل الثانى من البحث فيما يخص حملة روبرت النورمانى Robert of Normandies دوق نورمنديا (١٠٥٤ - ١١٣٤م)، ومسيرتها من شمال فرنسا، حتى وصولها إلى ميناء دورازو البلغارى على البحر الأدرياتيكى، وقد بين لنا فوشيه كيف كانت رحلة روبرت عبر بلاد البلغار، مما كان له فائدة فى التعرف على موقف البلغار من الحملة وتصرفات الصليبيين من البلغار وكذلك البيزنطيين.

- البرت دى أكس Albert d' Aix: (تاريخ بيت المقدس Historia hierosolymitana).^(٤٩)

أما عن القسم الثانى من المصادر اللاتينية التى عالجت فترة الدراسة فنورد منها ما كتبه البرت دى أكس بعنوان تاريخ بيت المقدس، ولم يكن هذا المؤرخ من شاهدى عيان الحملة الصليبية الأولى، وقد وضع تاريخه فى أوروبا دون أن يحضر إلى الشرق، ولا يعرف على وجه التحديد اسم هذا المؤرخ ومكان مولده، وكل ما عرف عنه أنه كان أمينًا لخزانة مدينة أكس Aix، وأنه عاش فيما بين عامى ١١١٩م، ١١٥٠م، وهى الفترة التى من المحتمل أن يكون وضع فيها تاريخه (ربما بدا ذلك فى عام ١١٢٥م)، ويتميز كتابه بالدقة البالغة والمعلومات الوفيرة سواء عن الدعوة للحملة الصليبية الأولى أو تحرك الجيوش أو عن أحوال الصليبيين فى الشرق، بالرغم من أن عمله يتسم أحيانًا بالنزعة

الأسطورية، وكان ألبرت قد أستقى مادته من مصادر أصلية مثل أعمال كل من المؤرخ المجهول، وريمونداجيل، وفوشيه الشارترى، كما استمع إلى روايات ممن عادوا من الصليبيين إلى أوروبا ويغطى كتابه الفترة حتى عام ١١٢٢م / ٥١٦ هـ.

وقد أمدنا فى الفصل الأول من البحث بمعلومات غاية فى الأهمية عن الحملة غير النظامية وعبورها لبلغاريا، وموقف البلغار والبيزنطيين منها وكذلك فى الفصل الثانى عن حملة الأمير جودفرى دى بوايون فى بلغاريا، وتصرفات البلغار حيالها، والرسائل التى بولدت بين الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus والأمير الفرنسى على الأراضى البلغارية، ولعل هذه المعلومات التى قدمها ألبرت جعلته مصدراً مهماً، كما أنه مكتوب بأسلوب سهل عادى. ومع أن لغته لم تكن ممتازة، إلا أننا نلمس بين ثناياها الحقيقة الواضحة، غير أنه يؤخذ على ألبرت أنه لم يعن إطلاقاً بتحديد تواريخ الأحداث التى رواها^(٥٠).

- **وليم الصورى William of Tyre**، **(تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر - Ahis tory of Deeds done beyond the sea)**^(٥١).

ومن المصادر اللاتينية المهمة والتى أضافت لموضوع البحث الكثير ما كتبه المؤرخ وليم الصورى وبخاصةً، تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر.

كان وليم قد ولد بمدينة بيت المقدس فى عام ١١٣٠م، ومن الراجح أن يكون أحد أجداده قد شارك فى الحملة الصليبية الأولى، بيد أننا لا نعرف تحديداً موطن أسرته الأصلية، حيث لم يكن حريصاً فى كتابه على ذكر أصله، أمضى وليم عشرين عاماً من حياته (١١٤٥ - ١١٦٥ م) مسافراً فى فرنسا وإيطاليا طلباً للعلم، فدرس علم اللاهوت والفلسفة والرياضيات فى باريس وشارتر، كما درس الكلاسيكيات فى أورليانز والقانون فى بولونيا، وفى عام ١١٦٥ م عاد إلى الشرق حيث تقلد عدة مناصب هامة فقد شغل وظيفة رجل القانون الكنسى فى عكا، ورئيس شمامسة فى بيت لحم وصور، وفى عام ١١٧٠م أصبح مربيًا ومعلمًا لبولدين الرابع ملك بيت المقدس ابن الملك عمورى الأول منذ عام ١١٧٤م، ثم أصبح مستشاراً للمملكة الصليبية ورئيساً لأساقفة صور، وبالإضافة إلى ذلك فقد كلفه بولدين الرابع بمهام رسمية فى القسطنطينية، وفى عام ١١٨٠م حدثت تغيرات سياسية فى المملكة أطاحت بأماله فى أن يصبح بطريركاً لبيت المقدس، ومات وليم فى عام ١١٨٦م^(٥٢).

ويعد كتاب وليم هذا من أكثر المصادر اللاتينية دقة وشمولاً، وقد وضعه وليم بتكليف من عمورى الأول ملك بيت المقدس (١١٦٣ - ١١٧٤م) ليكون سجلاً لأعمال الملك الصليبي ويبدأ الكتاب بالفتح الإسلامى لبلاد الشام كمقدمة للحروب الصليبية ثم غطى فترة الحملة الصليبية الأولى حتى عهد بولدين الثانى - معتمداً فى ذلك على ما

جاء في كتب ما سبقوه من المؤرخين مثل المؤرخ المجهول، وريمونداجيل، وفوشيه الشارترى، وألبرت دى أكس Albert d'Aix، إلى جانب ما أمده به الملك عمورى الأول من كتب المؤرخين المسلمين ثم استمر وليم فى تاريخه حتى عام ١١٨٤م، وقد أفادنا وليم فيما يخص الفصل الأول وأحداث الحملة الصليبية غير النظامية والفصل الثانى حملة الأمراء، حيث تحدث عن حملة والتر المفلس Walters Sans- Avoir وبطرس الناسك Pierre L'Ermite فى بلاد البلغار، وموقف البلغار منها، وكذلك أمراء الغرب الأوروبى، وقد تميز مؤلف وليم عن غيره من المؤلفات فى أنه أمدنا بكثير من التفاصيل عن مرور رجال الحملة الأولى بأرض البلغار، والصراع الذى وقع بين البلغار أهل البلاد وبين الصليبيين؛ كما أفدنا منه كذلك فى الفصل الثالث من البحث، حينما تحدث عن حملة الملك الألماني كونراد الثالث Conrad III إلى الشرق، وكذلك الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII غير أن معلوماته هذه المرة عن الحملة الصليبية الثانية بأرض البلغار كانت قليلة بعض الشيء، ومهما يكن من أمر فإن وليم وكتابه تميز بالدقة الشديدة فى الوصف مما جعله مصدراً غاية فى الأهمية.

- أودو أوف دويل Odo of Deuil: (حملة لويس السابع إلى الشرق - De Profectione Ludovi
(ci V11 in Orientem

ومن المصادر اللاتينية التى أفادت البحث كذلك ما سطره المؤرخ الفرنسى أودو أوف دويل فى كتابه: "حملة لويس السابع إلى الشرق".

وقد أعتمد الباحث على الترجمة التى قدمها سهيل زكار: الحروب الصليبية الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان كتبت أصلاً بالإغريقية والسريانية والعربية واللاتينية (دمشق: دار حسان، ١٩٨٤م) ج ١، ط ١.

وقد كان أودو سكرتيراً وواعظاً للملك الفرنسى لويس السابع أثناء حملته الصليبية ولا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده أو حياته المبكرة، سوى أنه كان راهباً فى دير القديس دنيس St. Denis الواقع شمال مدينة باريس، ويبدو أن البعض نظر إليه على أنه الشخص المنتظر ليخلف رئيس الدير "سوجير" Suger فى منصبه، ومن ثم فقد تولى بعض الأعمال المهمة داخل الدير^(٥٣)، وأصطحبه الملك لويس معه فى حملته الصليبية على الشرق، وعاد إلى بلاده عام ١١٤٩م، ثم ما لبث أن عين رئيساً لدير القديس دنيس St. Denis فى عام ١١٥٢م وظل فى هذا المنصب طوال حياته، وقد ذكر أودو أن الهدف من قيامه بتدوين أخبار هذه الحملة هو إعجاباه الشديد بالملك الفرنسى لويس السابع ورغبته فى الاعتراف بفضله، وليظهر لشعبه سوء الحظ والصعوبات التى واجهها الفرنسيون أثناء حملتهم لتفادوها إذا ما رغبوا فى القيام برحلة إلى الشرق فى المستقبل^(٥٤). وما كتبه أودو عن الحملة يبدأ منذ أن كانت فكرة وما تلى ذلك من

أحداث كالإعلان عنها والدعوة لها وإعداد القوات ومسيرتها من فرنسا فى طريقها إلى آسيا الصغرى، وقد أمدنا أودو بمادة طيبة فى الفصل الثالث من البحث عن الحملة الصليبية الثانية بشقيها الألماني بقيادة الملك الألماني كونراد الثالث Conrad III والفرنسى تحت راية لويس السابع وتحدث عن مسيرة هذه الحملة داخل الأراضى البلغارىة، ومعاملة الشعب البلغارى للصليبيين والصدام الذى وقع بين الجانبين، على إثر المعاملات التجارية بينهما، ثم نهاية الحملة وفشلها على أبواب مدينة دمشق.

- أنسبرت Ansbert: (تاريخ حملة الإمبراطور فردريك

(Historia de Expeditione Friderici Imperatoris) (٥٥)

كما اعتمدت الدراسة أيضاً على ما كتبه أنسبرت Ansbert تحت عنوان: " تاريخ حملة الإمبراطور فردريك " Historia de Expeditione Friderici Imperatoris " كان أنسبرت رجل دين صاحب فردريك فى حملته^(٥٦)، ويتضح ذلك من خلال وصفه لأحداث الحملة وتفصيلها الدقيقة، والتي لا يمكن معرفتها إلا من شارك بالفعل فيها، كأسماء القادة المشاركين الذين ذكرهم فى بداية تاريخه إلى جانب الرسائل الدبلوماسية التى بعث بها الإمبراطور فردريك إلى ملوك البلاد التى سيمر عبر أراضيتها كالصرب وبيزنطة، كما أمدنا أنسبرت فى الفصل الرابع من البحث بمعلومات رائعة عن الجيش الألماني وحجمه وتحركه من ألمانيا نحو بلغاريا، والتقارب الألماني البلغارى الصربى، ثم الصراع بين الأخيرين والجيش الصليبي، وكذلك الوصف الرائع لمسيرة الألمان داخل بلاد البلغار من خلال الخطاب الذى كتبه الإمبراطور فردريك لابنه هنرى السادس Henry VI ليحثه للقيام بإعداد حملة لمهاجمة بيزنطة، ويبدو لنا أن أنسبرت كان يكتب تاريخه هذا بصفة رسمية من الإمبراطور فردريك نفسه، الذى أسند إليه القيام بهذا العمل بهدف توصيل المعلومات عن رحلته إلى الشعب الألماني، وليس أدل على ذلك من أن أنسبرت لم يوجه للإمبراطور الألماني فردريك أى نقد أو لوم على أى عمل من أعماله التى تعرضت للنقد من قبل المعاصرين، كاتصال الإمبراطور بحكام البلغار والصرب على الرغم من معرفته بالعداء القائم بينهم وبين بيزنطة، مما أثار غضب الإمبراطور البيزنطى إسحق الثانى أنجيلوس Issac II Angelios ضده، ولكن ألقى اللوم كل اللوم على الإمبراطور البيزنطى وتصرفاته تجاه الحملة الألمانية، وهذا يؤكد أن أنسبرت كان رجلاً يتبع الإمبراطور الألماني ويعمل وفق أوامره، ومن المحتمل أن يكون أنسبرت ترك الجيش الألماني بعد وفاة الإمبراطور فردريك الأول عام ١١٩٠م، إذ أنه يتوقف بتاريخه عند هذا الحدث ولا يصف لنا أى شئ وقع بعد ذلك، وربما كان من المعوثين الذين أرسلوا لإبلاغ هنرى السادس Henry VI فى ألمانيا بموت أبيه فردريك الأول. وطفوة القول أن كتاب أنسبرت يعد من أجل الكتب التى اعتمد عليها البحث لما فيه من معلومات قيمة

كشفت عن الموقف البلغاري من حملة الإمبراطور الألماني، وتصرفات الأخير حيال البلغار والبيزنطيين وكذلك الصرب. وهذا ما لم يتوفر في كثير من المصادر التي تحدثت عن الحملة الصليبية الثالثة.

- جوفري فلهاردوان Geoffroy de Villehardouin: (فتح القسطنطينية

(La Conquete de Constantiople

أما عن مؤرخي الحملة الصليبية الرابعة فقد رجعت إلى كتاب جوفري فلهاردوان "La Conquete de Constantiople" * فتح القسطنطينية * فلهاردوان من أسرة فرنسية نبيلة عرفت باسم فلهاردوان نسبة إلى قلعة بهذا الاسم في إقليم (تروى) في شمبانيا بفرنسا، وقد بلغت هذه الأسرة منزلة كبيرة من الثراء مما جعلها تتصل بأعظم كونت ثرى في فرنسا وهو الكونت ثيوت دى شمبانيا، ولد فلهاردوان في هذه الأسرة ما بين عامى ١١٥٠، ١١٥٤م أو سنة ١١٦٠م وكان يميل للحروب مما جعله يلتحق بخدمة ثيوت كونت شمبانيا ليحارب في صفه، فنال ثقتة، ولعل هذا ما دفع بالأخير لاختياره كأحد الرسل لينوب عنه في السفارة التي أوفدها الصليبيون المجتمعون في (إكرى) لمفاوضة البندقية في نقل عشرات الألوف من المحاربين الصليبيين إلى بيت المقدس، وكان قد لعب دوراً بارزاً في الحرب الصليبية الرابعة، ومن الجدير بالذكر أنه أتمى تاريخه وهو فى الستين من عمره بمدينة القسطنطينية فى سبتمبر عام ١٢٠٧ م. وكان موت الماركيز بونيفاس دى مونتفرات قائد الحملة الصليبية الرابعة وصديقه الحميم هو الحدث الذى أنهى به مذكراته^(٥٧).

وترجع أهمية كتاب فتح القسطنطينية إلى أن صاحبه كان شاهد عيان لأحداث الحملة الرابعة، بل وشارك بفرقة فى الهجوم على البلغار بعد استقرار الصليبيين بالقسطنطينية، وقد أفادنا فلهاردوان بما قدمه من مادة طيبة خاصة فى الفصل الخامس من البحث حيث حدثنا عن غزو الصليبيين لبيزنطة وتقسيمها فيما بينهم والبنادقة، وكذلك عرض البلغار مشاركة الصليبيين فى هذا الغزو، والرفض الصليبي ثم الهجمات القاسية للبلغار على الأملاك الصليبية، والتحالف البلغاري البيزنطى ضد الوجود الصليبي حتى مقتل بونيفاس دى مونتفرات Boniface de Montferat عام ١٢٠٧م، وكذلك القيصر البلغاري كالوجان ونهاية الحملة الصليبية الرابعة وتكوين المملكة اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م.

• المصادر العربية الإسلامية:

- بهاء الدين بن شداد (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية):

ومن الكتب العربية الإسلامية - التى أفادت البحث ما كتبه بهاء الدين ابن شداد (ت: ٦٣٢هـ / ١٢٣٦م) - (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، وابن شداد هو أبو

المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، ولد في الموصل سنة ١١٤٥م / ٥٣٩هـ، وتوفي في حلب سنة ١٢٣٦م / ٦٣٢هـ، وقد عرف ابن شداد نسبة إلى جده لأنه تربى في كنف أخواله بعد موت أبيه فنسب إليهم، ونشأ البهاء بالموصل وتلقى علومه الدينية الأولى فيها، وفي عام ١١٧١م / ٥٦٧هـ. وصل إلى بغداد حيث عمل مدرساً بالمدرسة النظامية فيها لمدة أربع سنوات وعاد إلى الموصل مدرساً بالمدرسة الشهرزورية هناك، وازدادت وعلت مكاتته، وبعثه أتابك الموصل رسولاً إلى الخليفة العباسي في بغداد، وإلى صلاح الدين في مصر، وفي عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ سافر إلى مكة ومنها إلى دمشق حيث استدعاه صلاح الدين إلى حصن كوكب أثناء حصاره له، وألحقه بخدمته قاضياً لعسكره وللقدس الشريف، الذي كان قد استرده من الصليبيين، وبقي ابن شداد ملازماً لصلاح الدين حتى وفاة السلطان صلاح الدين، ثم عينه الظاهر غازي بن صلاح الدين قاضياً لحلب^(٥٨) وقد قسم ابن شداد كتابه النوادر إلى قسمين الأول في مولد صلاح الدين ونشأته وخصائصه، والثاني في تقلبات الأحوال به ووقائعه وفتوحاته وتواريخها إلى نهاية حياته، واعتمد ابن شداد في التأريخ للأحداث التي لم يعاصرها على من يثق به. أما الأحداث التي عاصرها وهو في خدمة صلاح الدين فقد وضعها كما شاهدها بنفسه، لذلك يعتبر كتاب ابن شداد هذا من الكتب الإسلامية المهمة التي اعتمد عليها الباحث في استقاء المادة التاريخية التي تخدم البحث من خلاله، خاصة فيما يتعلق بالحملة الصليبية الثالثة وتحرك الجيش الألماني بقيادة الإمبراطور فردريك الأول بربروسا Frederick I Barbarossa (١١٥٢ - ١١٩٠م) من أوروبا حتى غرقه في بهر السالف Salf في قليقية بآسيا الصغرى عام ١١٩٠م.

كما قدم ابن شداد خطابان في غاية الأهمية الأول: كان الكايغكوس مقدم الأرمن في قلعة الروم قد أرسله إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في يولييه - أغسطس ١١٩٠م / جمادى الآخر - رجب ٥٨٦هـ، يوضح الأول فيه للثاني خط سير الحملة الألمانية، ودخولها بلاد البلغار والأراضي البيزنطية، وما أصاب الحملة الصليبية على أيدي البلغار، والخطاب الثاني كان العاهل البيزنطي إسحق الثاني أنجيليوس Issac II Angelious قد أرسله إلى صلاح الدين الأيوبي يصف له كيف سارت الحملة الألمانية بأرض البلغار، وما أصابها على أيدي البلغار أهل البلاد وكذلك البيزنطيين.

وأيا ما كان الأمر فقد التزم ابن شداد في كتابته التاريخية بالأسلوب السهل الدقيق والعبارة المحددة، ولم يزاحم الشعر لديه الحقيقة، ولم يلجأ إلى استخدام الزينة اللفظية والمحسنات البديعية، ولذلك جاءت كتاباته صادقة ودقيقة إلى حد كبير.

هذا وقد رجع الباحث كذلك إلى العديد من المراجع والبحوث الأجنبية والعربية التي أفادت البحث في شتى جوانبه.



هوامش المقدمة والدراسة التحليلية لأهم المصادر

(١) عن هذا الدور انظر:

أحمد محمود حسن عامر، "العلاقات السياسية بين البلغار والعثمانيين ١٣٦٠ - ١٤٤٤م" بحث منشور بمجلة التاريخ والمستقبل قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنيا عدد يناير ٢٠٠٥م، ص ٣٧١ - ٤٢٠.

(٢) من الدراسات الأجنبية ما كتبه:

- Miller (W.): "the Rise and Fall of the First Bulgarian empire "in : the Cambridge medieval history (Cambridge, 1927) vol. 4, pp. 230 - 245.

- Runciman (S.); Ahistory of the first Bulgarian empire (London, 1930).

- Wolff (R. L); " the second Bulgarian empire, its Origin and history to 1204" speculum, vol. 42 (America, 1949) PP. 167- 206.

- Setton (K. M); " the Bulgars in the Balkans and the occupation of corinth in the seventh century speculum, vol. 25 (America, 1950) pp. 502- 543.

- Setton (K.M); " the Emperor Constants 11 and the Capture of Corinth by the onogur Bulgaras" Speculum, vol. 27. (America, 1952).

- ومن الدراسات العربية ما سطره:

- أحمد محمود حسن عامر، السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥م) رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ - كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادى ١٩٩٧م.

- هانىء عبد الهادى البشير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى (٦٨١ - ١٠١٨م) رسالة دكتوراه من قسم التاريخ كلية الآداب جامعة طنطا ١٩٩٩م.

- أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥ - ١٣٩٦م رسالة دكتوراه غير منشورة من قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة المنصورة ٢٠٠٤م.

(٣) نشر هذا البحث بمجلة المؤرخ المصرى قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة، العدد الرابع عشر ١٩٩٥م، ص ٣٠٩ - ٣٥٨.

(4) Runciman (S); "The First Crusaders, Journey Across the Balkan. Peninsula" Byzantium, T. 19 (Bruxelles, 1949) P. 207 .

من الجدير بالملاحظة أن الباحث حاول جاهداً الحصول على أيًا من الوثائق أو المصادر البلغارية التى كتبت بأيدي البلغار أنفسهم، والتى تعبر عن وجهه نظرهم حيال

مرور الجيوش الصليبية بأراضيهم لكن دون جدوى، ولكن يبدو مما ذكره بعض المؤرخين أن المخطوطات البلغارية المتعلقة بالقرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، هى بالفعل قليلة؛ ويرجع ذلك إلى أن هذه المخطوطات قد تم تدميرها أثناء فترة الحكم البيزنطى المباشر لبلغاريا، حيث إن بيزنطة كانت قد سعت إلى فرض الهوية البيزنطية على الكنيسة البلغارية من خلال عملها على تحطيم النظم القومية البلغارية باستئصال اللغة البلغارية من الكنيسة، وإحلال اللغة اليونانية محلها، وإغلاق المدارس البلغارية وافتتاح مدارس بيزنطية، وتشجيع ترجمة الكتب من السلافية إلى اليونانية، ولعل هذا قد أدى بطبيعة الحال إلى تدهور الثقافة البلغارية وقلة إنتاج الكتاب البلغار أثناء فترة السيادة البيزنطية، وهى الفترة التى عبرت خلالها الحملات الصليبية الأراضى البلغارية. عن ذلك انظر:

Obolensky (D.); The Byzantine Commonwealth, Eastern Europe: 500-1453 (London, 1974) PP. 284-285.

؛ أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية، ص ٥٠، ٥١ هامش ١ .

(٥) هانى عبد الهادى البشير، العلاقات، ص ١ .

(٦) عن هذه الرسائل انظر:

" Theophylacti Bulgariae Archiepiscopi Epistolae" In : Patrologia Graeca, T. 126, cols, 324-325.; Molinghen (Alice Leroy) ; Du Des tinataire de La lettre Finetti 1 De theophylacte De Bulgarie" Byzantion T.62 (Bruxelles, 1972) pp. 431-437.

(٧) عن هذا الخطاب انظر:

" Manuels Graecorum imperatoris, ad Ludovicum acceptis ejus literis, magno se ejus videndi desiderio teneri signifi Cat, Promittit Que, Liberum ei per terram suam transitum ad hierosolymitanam expeditionem profecturo" in: Jean (Michel) and Brial (Joseph) ; Recueil des Historiens des Gaules et de La France, vol.16 (Paris, 1968) pp.9-10 No.36 .

(٨) عن هذا الخطاب انظر:

"Calojoanni, Domino Blacorum et Bulgarorum Respondet epistolae superioi" in : Patrologia Latin, (ed) By: Migne (J.P) (Paris, 1853) T.214, cols, 1112-1115.; litterae Calojoannis imperatoris Bulgarorum ad Papam So Romanae Ecclesiae submittit" in: Patrologia Latin, (ed) by: Migne (J.P) T.215 (paris, 1855) cols,155-156.;"Calojoanni Bulgarorum et Blacorum Regi Ejus Que Posteris, Privilegium, Quo Leoni, tituli S.Crucis Presbytero Cardinali, apostolicae sed legato, Concediture Facultas ipsum in

regem ungenti et Coronandi" in: Patrologia Latin, T.215, Cols, 277-280.

(9) "Litterae Henrici, Fratris imperatoris, Significat ei quod Balduinus imperator captus fuit abulgaris, ac nuntios mittit: (in palatio Blackerane, anno Domini 1205, Nonis Junii) In : Patrologia Latin T. 215, cols. 706-710.

انظر الترجمة العربية لهذا الخطاب في ملحق رقم (٣).
(١٠) نشر هذا الكتاب في ثلاث طبعات:

1 - Theophanes; " Chronographia" In : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (ed) Classen (Bonnae, 1839).

2 - Theophanes; The Chronicle of Theophanes, Trans by : Turtledove (H.) (Pennsylvania, 1982).

هذه الحولية التي قام بترجمتها من الإنجليزية تورتلدوف. هـ (H) Turtledove عام ١٩٨٢م، بدأ فيها بترجمة أحداث عام ٦٠٢م حتى نهاية الحولية عام ٨١٣م؛ وقد اعتمد الباحث على الترجمة الإنجليزية التي أعدها Cyril (Mango) تحت عنوان:

Theophanes: The chronicle of Theophanes Confessor byzantine and near eastern history AD 282-813, Translated with introduction and comment by : Cyril (Mango) and Roger (scott), with the assistance of Geoffery (Greatrex) (Oxford, 1997).

(١١) ولمزيد من التفاصيل عنه انظر:

Theophanes; The chronicle, pp. 10 ff.; CF: Kazhdan (A); The Oxford Dictionary of byzantium (Newyork, Oxford 1991) vol.3, P.2063.

؛ أ. دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية ترجمة وتعليق، حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م) ص ٢٢١ - ٢٢٢، هاني عبد الهادي البشير، العلاقات، ص ٢ هامش ١.

(١٢) أ. دونالد نيكول، المرجع السابق، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(١٣) نفسه، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ هاني عبد الهادي البشير، العلاقات، ص ٢.

CF: Ostrogorsky (G); " The Byzantine empire in the world of the seventh century" Dumbarton Oaks Papers, vol.13 (Cambridge, Mass, 1959) p. 15.

(14) Cedrenus (G); " Historiarum Compendium " In : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (ed) I. Bekker, 2 vols (Bonnae, 1838).

(15) Ibid, I,p.12

وكذلك: هاني عبد الهادي البشير، السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية في

عهد خلفاء هرقل (٦٤١ - ٧١١ م / ٢١ - ٩٣هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب بينها ١٩٩٥م، ص ٦؛ أحمد كامل عبد المقصود، الدولة البلغارية الثانية ١١٨٥ - ١٣٩٦م، ص ٣.

(١٦) نفسه. أما عن سكليتزس Scylitzes: فهو من كتاب التاريخ البيزنطي، وكان قد عمل موظفًا مرموقًا في البلاط الإمبراطوري، وتوفى حوال نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وكان له مؤلفان على جانب كبير من الأهمية، وهو مختصر تاريخ سكليتزس Scylitzes Synopsis. Historiarum، والثاني بعنوان: التاريخ الموجز ليوحنا سكليتزس القربلاط " والكتاب الأول يغطي أحداث الفترة من ٨١١ إلى ١٠٥٧م، ويواصل في كتابه الثاني أحداث الفترة من ١٠٥٧ إلى ١٠٧٩م، وكان الباحث قد استفاد منه أيضًا في الدراسة التمهيدية للبحث، خاصة فيما يتعلق بالتمرد الذي قام به البلغار ضد الوجود البيزنطي على أراضيهم، وبصفة خاصة تمرد جورج فوتيه George Voiteh الذي وقع في مقدونيا عام ١٠٧٢م بسبب جشع جامعي الضرائب من البيزنطيين. عنه انظر:

Syclitzes Continuatus; Excerpta ex Breviario Historico Ioannis scylitzes cour palatae, (ed):I. Bekker "in: cedrenus (G); " Historiarum. Compendium" in; Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1938-1939)vol.2, pp. 639-744. ; Dölger (F); Byzantine literature" in: The Cambridge Medieval history, vol.4/part.1(Cambridge, 1978) P.236.

؛ المتولى السيد تميم، البشناق والبيزنطيون دراسة فى سياسة بيزنطة الشمالية ٨٥٠ - ١١٢٢م، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنصورة ١٩٩٦م، ص ٦.

(17) Cedrenus (G.); op. cit, II, pp. 213, 347-356, 586-608.

؛ هانىء عبد الهادى البشير، العلاقات، ص ١١ .

(18) Cedrenus (G); op. cit, II, pp. 450-456.

(19) Ibid, II. PP. 527- 532.

؛ هانىء عبد الهادى البشير، العلاقات، ص ١١ .

(20) Zonaras, I. " Epitomae : Historiarum Libri" in : Corpus Scriptorum Historiae byzantinae, vol. 3 (Bonnae, 1897).

(21) Kazhdan (A.); the Oxford, vol. 3 , P. 2229.

; Dölger (F); Byzantine, P. 236.

؛ أ. دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ٢٣٩؛ طارق منصور محمد، دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير (القاهرة: ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م) ص ٦.

(22) Dölger (F) ; op. cit, P. 236.

(23) Zonaras, I, op. cit, vol.3 PP. 534- 547.

(٢٤) هانىء عبد الهادى البشير، العلاقات، ص ١٢.

(٢٥) نشر هذا الكتاب فى أربع طبعات:

1 - Anna Comnena; " Alexiad" in: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1839).

2 - Anna Comnena; the Alexiad, Eng. Trans. by: Elizabeth (Dawes) (london, 1922).

3- Anna Comnena; the Alexiad, Eng. Trans. E. R. A (Sewter) (london, 1982).

4 - أنا كومنيناء، ألكسياد، ترجمة: حسن حبشى (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م).

وقد اعتمد الباحث على هذه الترجمة العربية.

(٢٦) لمزيد من التفاصيل عن أنا وكتابتها الألكسياد. انظر:

Staquet (Josses); " Anna comnene Alexiad, " Byzantion, T. 13 (Bruxelles, 1938) PP. 505- 512. ; Molinghen (Alice, Ieroy); "les Deux Jean Taronite . de L' (Alexiade)' "Byzantion, T. 14 (Bruxelles, 1939) PP. 147- 153. ; Weyl Carr(Annemarie. Hill (Barbara) and Brand (Charles.M) ; Komnenian culture (Amsterdam, 1996) .PP. 3- 163.

؛ طارق منصور محمد، دراسة نقدية، ص ١٤ - ١٦؛ فتحية عبد الفتاح النبراوى، " حياة الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى فى القرن الثانى عشر الميلادى " بحث منشور بالمجلة التاريخية المصرية، مج ٢٧، (القاهرة: ١٩٨١م) ص ٤٢ - ٥٠.

(٢٧) المتولى السيد تميم، البشناق، ص ٧.

Cf : Ostrogorsky (G); History of the Byzantine State, Trans (by): Hussey (Jean)(Newjersey 1957) PP. 311- 312.

(28) Runciman (S); the first crusaders P. 207.

(29) Ibid.

(٣٠) نشر هذا الكتاب ضمن مجموعة الكتاب البيزنطيين فى بون Bonnae :

Choniates (Nicetas); " Historia" in: Corpus Scriptorum Historia Byzantinae (Bonnae, 1835).

وقد رجع الباحث للترجمة الإنجليزية :

Choniates (Nicetas) ; Ocity of Byzantium, Annales. Of Niketas Choniates, Trans by: Harry. T. Magoulias (Dertroit, 1984).

(٣١) كانت بلدة أو مدينة "خوناي" تقع في إقليم فريجيا بآسيا الصغرى، وقد اشتهرت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل Michael، والمعجزة التي ارتبطت بها، وعلى الرغم من أنها كانت أبرشية في القرن التاسع الميلادي، إلا أنها فقدت أهميتها أثناء الفتح السلجوقي لها بعد موقعة مانزكرت عام ١٠٧١م، وفي القرن الثاني عشر أصبحت مدينة حدود تمر من خلالها الجيوش البيزنطية غالباً عند قيامها بالغزو. انظر:

Choniates (Nicetas) ; op. cit, p. x1.

؛ طارق منصور محمد، دراسة نقدية، ص ٢١ هامش ٧٥.

(32) Choniates (Nicetas); op. cit, pp. 1x-x, x11

؛ طارق منصور محمد، المرجع السابق، ص ٢١ - ٢٢.

(٣٣) فايز نجيب إسكندر، " نيكيتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ" مستلة مستخرجة من مجلة كلية الآداب بينها العدد ٧ يناير ٢٠٠١ م، ص ٣٦٤.

(٣٤) السباستوكراتور Sebastokrator: لقب بيزنطي ظهر في القرن العاشر الميلادي في الفترة بين ٩٦٣ و٩٧٥م، وعلى الرغم من عدم وضوح وظيفة حامل هذا اللقب إلى أنه يأتي في الأهمية بعد الإمبراطور وبعد الديسبوت Despot (أى السيد) وأعلى من القيصر Caesar: انظر:

؛ عماد أمين محمد، الصرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية في البلقان في العصور الوسطى (٦٢٦ - ١٤٥٩م) رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنصورة ٢٠٠٣م، ص ٨٤ هامش ١.

(٣٥) لمزيد من التفاصيل عنه انظر:

Choniates (Nicetas); op.cit, pp.10-19. Cf: Grecu (V.); " Autour Du De signis De Nicetas Choniate" Revue des Etudes Byzantines. T.6 (Bucarest, 1948) pp.58ff.; Ostrogorsky (G); history, p.312.

؛ طارق منصور محمد، المرجع السابق، ص ٢١ - ٣١؛ فايز نجيب إسكندر،

المرجع السابق، ص ٣٦٣ - ٣٦٨؛ محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل الأول ١١٤٣ - ١١٨٠م (الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٨٥م) ص ٧؛ عبد العزيز محمد عبد العزيز، العلاقات البيزنطية اللاتينية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول كومينوس (١١٤٣ - ١١٨٠م) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٠م، ص ٨.

(36) Choniates (Nicetas); op. cit; p.1x; Ostrogorsky, (G); history, pp. 312-313.

؛ محمود سعيد عمران، السياسة، ص ٨؛ طارق منصور محمد، مرجع سابق، ص ٢٥.

(37) Dölger (F); op. cit; p.230.; Ostrogorsky (G); history, pp.312-313.

(38) Kinnamos (John); Deeds of John And Manuel Comnenus, trans by, Charles. M. Brand (New York, 1976)

رجع الباحث كذلك إلى الترجمة العربية: يوحنا كيناموس "أعمال يوحنا ومانويل كومينوس" فى كتاب سهيل زكار، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م) ج ٢٩.

(39) Kinnamos (John); op. cit, p.7

والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ١٠ وما يليها؛ محمود سعيد عمران، السياسة، ص ١٢.

(٤٠) طارق منصور محمد، مرجع سابق، ص ١٦ - ١٧.

(٤١) أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية أثناء الحملة الصليبية الثانية فى ضوء وثائق كيناموس (الإسكندرية: القبة للطباعة والنشر، ١٩٨٨م) ص ٧ - ٨؛ طارق منصور محمد، المرجع السابق، ص ١٨.

(٤٢) هارى المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م) ج ١، ص ١٣٤؛ طارق منصور محمد، المرجع السابق، ص ١٦ - ٢١.

(٤٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجية وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: حسن حبشى (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٨م)، مقدمة المترجم ص ١٣؛ جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى (الإسكندرية، ١٩٧٦)، ص ٣٠٢.

(٤٤) جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ٣ - ٥.

(٤٥) ريموندا جيل، تاريخ الفرنجية غزاة بيت المقدس نقله إلى العربية وعلق

عليه: حسين محمد عطية، تقديم جنوزيف نسيم يوسف (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م) ط١، ص١ وما يليها.

(٤٦) جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ٥ - ٧.

(٤٧) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥ - ١١٢٧م) ترجمه من اللاتينية إلى الإنجليزية الأخت فرنسيس رتياريان، حرره وقدمه هارولد س. فنك، نقله إلى العربية زياد جميل العسلى (عمان - الأردن: دار الشروق، ١٩٩٠م) ط١، ص ١ وما يليها؛ جوزيف نسيم يوسف، مرجع سابق، ص ٧ هامش ٢.

(٤٨) جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص ٨ - ٩.

(49) Albert d'Aix; "Historia Hierosolymitana" dans, Recueil des Historiens des Croisades, Historiens - Occidentaux, T.4 (Paris, 1879)

وقد اعتمد الباحث على الترجمة الفرنسية فى:

Le Febvre (yves); Pierre L'ermite et La Croisade (Amiens, 1946).

وكذلك بعض النصوص المترجمة إلى اللغة العربية فى كتاب: قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق (القاهر: دار نافع، ١٩٨٥م).

(٥٠) جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ١٣.

(٥١) رجع الباحث للنسخة التى ترجمها د. حسن حبشى تحت عنوان: وليم الصورى، الحروب الصليبية (١٠٩٤ - ١١٨٤م) ترجمة وتقديم: حسن حبشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م) ٤ ج. وكذلك الترجمة التى قدمها سهيل زكار بعنوان: وليم الصورى، تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٠م) ٢ ج، ج١، ط١.

(٥٢) انظر: وليم الصورى، الحروب الصليبية، مقدمة المترجم، ص ١٠ - ٤٢؛ عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليام الصورى " فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مج ٢١ لسنة ١٩٦٧م، ص ١٨١ - ٢٠٠.

(53) Odo of Deuil; De Profectione Ludovici VII in Orientem, Trans (by) Berry (Virginia: G) (Newyork, 1947) pp. 14- 15.

؛ نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة ٢٠٠١، ص ٦.

(54) Odo of Deuil; op. cit, PP. 14 - 15.

؛ نعيمة محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٦ - ٧ .

(55) Ansbert ; Historia de Expedione Friderici Imperatoris in : Quellen Sur Geschichte des Kreuzzuges Kaiser friedrichs I; ed chroust, A. in : Monumenta Germanique Historica, Scriptoros Rerum German, Carum, vol. 5 (Munch, 1989).

كما اعتمد الباحث أيضاً على الدراسة التى قام بها جونسون . إدجر. ن Johnson Edgar. (N) عن أنسبرت وحملة الإمبراطور فردريك بربروسا .

Johnson (Edgar . N.) ; "the crusades of Frederick Barbarossa and Henry VI" in : Ahistory of the Crusades, (ed) by: setton (Kenneth . M) (Philadelphia, 1962) vol. 2, PP. 90 ff

(56) Ansbert; op. cit, PP. 7-8.

(٥٧) فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمها عن الفرنسية القديمة وعلق عليها حسن حبشى (جدة: المجلس العلمى، ١٩٨٢م) مقدمة المترجم ص ١١ - ١٦ .

(٥٨) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال. (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م) ج ٢، ص ٥ وما يليها؛ محمود محمد الحويرى، "المؤرخ بهاء الدين بن شداد حياته ومنهجه" مستخرجه من مجلة كلية الآداب جامعة أسيوط، العدد الأول (١٩٨٠م) ص ١٤٥ - ١٤٩ .
